



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدابِ الرَّافِديْنَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد السادس والثمانين / السنة الواحدة والخمسون

ربيع الأول – ١٤٤٣هـ / تشرين الأول ١٤ / ٢٠٢١م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

ملحق العدد: السادس والثمانين السنة: الواحدة والخمسون ربيع الأول - ١٤٤٣هـ / تشرين الأول ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/ الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/ جامعة بابل/ العراق
الأستاذ الدكتور كلود فيننثر	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آل/ فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/ جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/ جامعة عين شمس/ مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/ جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	- مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	- مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	- إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	- إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حد ما ذكر آنفًا .

• تُرتَّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشَّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال - إن اختلف الخبيران - إلى (مُحكِّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية. لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدائث فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكِّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٤ - ١	بلاغة التوشيع في أحاديث المصطفى الشفيح عمّار إسماعيل أحمد
٦٠ - ٢٥	فلسفة التاريخ في شعر نزار قبّاني (الأعمال السياسيّة أنموذجاً) محمود عايد عطية
٨٨ - ٦١	التذليل بأسماء الله الحسنى فرح سالم محمد شيت و وفاء فيصل إسكندر
١٠٦ - ٨٩	الأفعال الدالة على ثبوت الفاعل وسكوته في القرآن الكريم إسماعيل حميد حمد أمين
١٤٤ - ١٠٧	الجملة الاستئنافية في صحيح البخاري/دراسة وتحليل عبير طارق ظاهر الحاصود
١٧٨ - ١٤٥	النقد المعرفي: نحو إبدال منهجي محمد عبدالله عروس
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٢٠٤ - ١٧٩	التحصيل العلمي والادبي لأبناء الخلفاء في بلاط الدولة العباسية نور طارق طاهر و وجدان عبد الجبار النعيمي
٢٣٤ - ٢٠٥	الخليفة علي بن ابي طالب(عليه السلام) وعلاقته الاجتماعية مع الخلفاء الراشدين(رضي الله عنهم) بناز إسماعيل عدو (١١-٣٥هـ/٦٣٢-٦٦٥م)
٢٨٨ - ٢٣٥	موقف بريطانيا من أزمة البوسنة والهرسك (١٩٠٨-١٩٠٩) نييار بديع عبدالعزيز وإبراهيم حميد إبراهيم
٣٣٠ - ٢٨٩	الصلوات السياسية بين الكويت ونجد في فترة حكم الشيخ مبارك الصباح ١٨٩٦-١٩١٥ روزين عارف عيسى و سعاد حسن جواد
٣٤٢ - ٣٣١	الإسلام والخراج بتول عباس فاضل
بحوث علم الاجتماع	
٣٦٤ - ٣٤٣	البعد الاقتصادي والاجتماعي للسياسة المالية في العراق بعد ٢٠١٤ دراسة تحليلية فائز محمد داؤد
٣٩٦ - ٣٦٥	دور الدين في تحقيق السلطة والضبط الاجتماعي أسامة عثمان محمد
بحوث القانون	
٤٣٤ - ٣٩٧	الإشكاليات في أحكام جريمة الاختلاس عبد ال محمد قادر رجب
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس	
٤٧٢ - ٤٣٥	الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالتقييم الذاتي على وفق معايير برنامج بناء القدرات في التعليم لدى المرشدين التربويين في محافظة نينوى وليد سالم حموك

بحوث الجغرافية

٥٠٠ - ٤٧٣

الموقع الجغرافي للعراق وحدوده سياسياً
عبد المحسن أحمد إبراهيم طه و أحمد حامد علي العبيدي

بحوث الشريعة والعلوم الإسلامية

٥٢٤ - ٥٠١

موقف السلف والخلف من الآيات المتشابهات الواردة في صفات الله تعالى
خسرو إسماعيل صالح

بحوث الفلسفة

٥٥٠ - ٥٢٥

جماليات الأدب الروائي عند دنيس ديدرو وأبعاده الفلسفية
سالي محسن لطيف

النقد المعرفي: نحو إبدال منهجي

محمد عبدالله عروس*

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/١١/٢٨

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/١٠/١٤

المستخلص:

تستهدف هذه الدراسة البحث في مجال النقد المعرفي، الذي نعتقد بوصفه فرضية للبحث أنه يمثل إبدالا منهجيا يتجاوز مقولات الموت وحديث النهايات؛ موت المؤلف، وموت الناقد، وموت النص، وميلاد القارئ، ونهاية التاريخ، التي ميزت المناهج السياقية، والنسقية، والنظريات الموجهة للقارئ والتفكيكية وغيرها، ويؤسس لنظرة شمولية للنقد، أساسها البحث في ما هو جمالي في النص للكشف عن المعرفي فيه. إذ النقد المعرفي رؤية عبر تخصصية تنظر للنقد نظرة شمولية، تجمع بين ثلاثية السياق والنص والمتلقي. وتتأسس على فكرة الاستثمار والاستمرار بدل الموت والإلغاء، وتعلي من الإدراك كقيمة جوهرية في التفكير النقدي، وتتخذ من منجزات نظرية المعرفة أدوات للفهم والتفسير والتأويل.

يأتي مشروع النقد المعرفي لاستيعاب الجهد النقدي الذي توزعته العديد من المداخل الاشتغالية في النقد، والتأسيس لإبدال منهجي جديد، قوامه استلهام كل ما من شأنه إضاءة النص الأدبي، بما لا يتعارض مع مبادئ العقل، يمتد فيه نسيج النص إلى السياق الخارجي وما فيه من قيم كانت سببا في إنتاج النص، وإلى المتلقي وما يحمله من رؤية تعيد إنتاج النص.

يضع هذا البحث إشكالية يحاول الكشف عن ملامساتها تتمثل في: هل قدر النقد أن يتأسس على التناقض والإلغاء؟ وهل يمكن أن يمثل النقد المعرفي إبدالا منهجيا جديدا لقراءة النص الإبداعي بعيدا عن مقولات الإلغاء والموت التي هيمنت على الرؤية النقدية؟ وما هي المداخل القرائية التي يتخذها النقد المعرفي في إعادة اكتشاف المعرفة الإنسانية

* دكتوراه في الأدب الحديث والمعاصر/قسم اللغة والأدب العربي/كلية الآداب واللغات/جامعة العربي التبسي- تبسة.

المبثوثة في النص باستثمار العديد من الدراسات العبر تخصصية؟
الكلمات المفتاحية: النقد المعرفي؛ الإبدال المعرفي والمنهجي؛ حديث النهايات؛ الشمولية؛ التكامل.

تمهيد:

منذ أن وعى الإنسان الوجود من حوله وهو يعيد التفكير فيه، ويتساءل حوله، ولا يلبث في كل مرة من إثارة السؤال عما اعتقده من مسلمات، وما تبناه من مواقف، وما استقر عنده من أفهام. فكان السؤال الفلسفي مرتكزا أساسا لفهم الوجود، وكان السؤال النقدي سؤالا جوهريا في الأدب الذي تشكل حول هذا الوجود. وعليه كان النقد مدارا للتجربة الإنسانية التي أبت التسليم بما يبدهه الإنسان على أنه النموذج الكامل للإبداع، بل هو تجربة يتلبس بها النقص، وتخضع للتطور والتغير، تبعا لتطورات الحياة، ونمو المعرفة الإنسانية. ولا يكشف عن ذلك إلا النقد بأسئلته العميقة.

وقد اتخذ النقد على مر العصور مسارات عديدة؛ بدءا بالملاحظات الساذجة والأحكام الجاهزة التي تصدر عن الذوق والانطباع والتأثر، إلى النقد المنهجي الذي لا يعد إلا بالدراسة الحصيفة للمنجز الأدبي والفني، ويخضع إلى قواعد وقوانين يتبناها الناقد وهو يُقيّم الأعمال. وباتساع دائرة الإبداع، اتسعت دائرة النقد؛ بين منظور جمالي لا يهمله إلا الجوانب الجمالية في النص، ومنظور سياقي لا يعد إلا بما يمنحه السياق من إمكانات تسمح بإضاءة النص وفهمه ومنظورات نسقية ترهن النقد في دائرة مغلقة تحكمها البنية اللغوية وما يتولد فيها من علاقات وقس على ذلك العديد من المسارات النقدية الأيديولوجية ونظريات القراءة، والتفكيكية وغيرها. وفي كل تلك المسارات والتوجهات كان التقاطع حيناً، وكان التناقض والتناقض أحيانا كثيرة.

أولا: مقدمات الدراسة ودوافعها

لقد كانت المناهج النسقية ردة فعل عنيفة عن المناهج السياقية، إذ مثلما كانت السياقية مُعلّية من شأن الإنسان؛ مؤلفا، وتاريخا، وقيما وجودية، كانت النسقية متأسسة على مقولة الموت؛ موت المؤلف، وموت الإنسان، وموت التاريخ، وموت القيم كما أسس

لذلك "رولان بارت"^١ اعتمادا على فلسفة "نيتشه"^٢، مما حدا بالفيلسوف المعاصر "رجاء جارودي" إلى اعتبار البنيوية "فلسفة موت الإنسان"^٣. والأمر نفسه يمكن أن يقال عن النظريات الموجهة للقارئ؛ فالمؤلف يغيب بمجرد كتابة النص، والنص يصبح أثرا ولا سبيل لتحويله إلى إنتاج إلا في حضور القارئ الذي يملأ الفراغات، ويسد الفجوات، ويحقق راهنية النص، كما اعتقد "فولفغانغ أيزر"^٤، و"هانس روبرت يابوس"^٥، و"جوليا كريستيفا"^٦ وغيرهم، بينما النص لعبة في التفكير على اعتقاد "جاك دريدا"^٧، فلا يهم الوجه الذي سقطت عليه، ولا الجهة التي استندت عليها، فلا مرجع، ولا مؤلف، بل هي مسارات أشبه بالعبثية، فكل قراءة إساءة قراءة وكل وجود هادم لوجود.

(١) - يقول رولان بارت مبينا مقولة موت المؤلف: "إن النص من الآن فصاعدا على كافة مستوياته وجميع أدواته، ومنذ صناعته وحتى قراءته، يظهر بشكل يغيب فيه المؤلف غيايا كاملا".

Roland Barthes: Image , Music, Text, essays selected tr. Stephen Heath (New York Hill and Wang , 1977) , p 42.

(٢) - يقول فيريدريك نيتشه: "مات الإله، ويظل الإله ميتا"، فيريدريك نيتشه: العلم الجدل، ترجمة وتقديم: حسان بورقية و محمد الناجي، ط١، المغرب: أفريقيا الشرق، ١٩٩٣، ص ١٣٢.

(٣) - رجاء جارودي: البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة: جورج طرابيشي، ط٤، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٩، ص ١٢ وما بعدها.

(٤) - ينظر، فولفغانغ أيزر: فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة وتقديم: حميد لحداني، والجلالي الكدية، المغرب: منشورات مكتبة المناهل، فاس، ١٩٩٤، ص ١٠ وما بعدها.

(٥) - هانس روبرت يابوس: نحو جمالية للتلقي، تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ترجمة وتقديم: محمد مساعد، مراجعة عز العرب لحكيم بناني، ط١، سوريا: منشورات النايا للدراسات والنقد، دمشق، ٢٠١٤، ص ص ٦٣، ٨٢.

(٦) - ينظر بخصوص إنتاجية النص عند جوليا كريستيفا: عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسمياء الأدب، من أجل تصور شامل، ط١، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون الجزائر: منشورات الاختلاف، المغرب: ودار الأمان، ٢٠١٠، ص ص ٨٦، ٩٣.

(٧) - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سينا، ط٢، المغرب: دار توبوقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ٥٣ وما بعدها.

ونتيجة كل ذلك كان الحديث عن النهايات؛ نهاية التاريخ، ونهاية الفلسفة، ونهاية الاشتراكية، ونهاية الاستعمار، ونهاية الإنسان، ونهاية النقد الأدبي، ومع هذه النهايات كان الحديث عن ميلاد قيم بديلة: ميلاد العولمة، وميلاد الرأسمالية، وميلاد الآلة، وميلاد النقد الثقافي. لقد وُلِدَتْ عولمة تعند بالكونية في كل شيء، ولكن ذلك الاعتداد وُلِدَ من جديد العودة إلى الذات والاهتمام بالخصوصية.

وعليه، ففي ظل التحولات الحضارية التي عرفها العالم مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين «ظهرت نظريات نقدية تُحدثنا عن النسبية الثقافية ضد الرؤية الغربية المطلقة عن ثقافة الحداثة كثقافة واحدة كلية مطلقة»^١. وبدل السير قُدُماً في حديث النهايات كان لا بد من العودة إلى حديث البدايات، والتأسيس لمنظور جديد قوامه استثمار المنجز النقدي وفي انفتاحه على المعرفة الإنسانية، وبالتالي كان النقد المعرفي رؤية في هذا الاتجاه.

ثانياً: إشكالية البحث ومنهج الدراسة

١- إشكالية البحث

إن الإشكالية التي يروم البحث مناقشتها يمكن صياغتها في الأسئلة الآتية: هل يمكن أن يمثل النقد المعرفي إبدالاً منهجياً جديداً لقراءة النص الإبداعي بعيداً عن مقولات الإلغاء والموت التي هيمنت على الرؤية النقدية؟ وما هي المداخل القرائية التي يتخذها النقد المعرفي في إعادة اكتشاف المعرفة الإنسانية المبتوثة في النص باستثمار العديد من الدراسات العبر تخصصية؟ وما هي الرؤية الجديدة لكل من المؤلف والنص والناقد والسياق والمتلقي في ظل النقد المعرفي؟ وكيف يمكن أن يكون الجمالي وسيلة للحفر في المعرفة الإنسانية التي تتسلل عبره وتشكل هويتنا وإدراكنا للوجود؟ وهل قَدَرُ سؤال النقد أن يفقد إلى التناقض، ويتأسس على الإلغاء؟ أم في الأمر سِعةٌ ويمكن أن تلتقي مجموعة

(١) - ريتشارد إي نسيبت: جغرافية الفكر، كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف... ولماذا؟ ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة عدد ٣١٢، الكويت: منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فبراير ٢٠٠٥، ص ٠٩. (مقدمة المترجم).

من الرؤى والتصورات خدمة لقضية واحدة وهي قراءة النص الإبداعي وفهم أسرارها من منظور شمولي؟ وهو المسعى الذي يجد فيه النقد المعرفي مدخلا متميزا في منطلق يتسم بالشمولية كفرضية يتأسس عليها هذا البحث.

٢- منهج الدراسة

ستتخذ الدراسة من نقد النقد منهجا للدراسة، يحاول مساءلة السائد من الأفكار النقدية، ويناقش ما تكون حولها من تصورات، ويعمل على إيجاد مداخل أخرى، يراها كفيلة بتحقيق رؤية شمولية للنقد، تستثمر المنجز، وتعيد إنتاجه، بعيدا عن إرغامات الموت، وهيمنة الإقصاء المنهجي.

ثالثا: النقد المعرفي، بحث في المفهوم والغاية

يندرج النقد المعرفي ضمن سياق حضاري، لا يتأسس على مقولة الموت، ولا يأنه بمقولة النهايات^١، إذ هو « دعوة لحوار النقود المتنوعة في مساحة معرفية اشتغالية واحدة دون الجنوح إلى تصدير مقولات بموت هذا الميدان من النقد أو ذلك^٢، وإنما يقوم على فهم جديد لقضايا الوجود المبتوثة في كل ما هو إنساني والمتجسدة في ما ينتج من عمارة، وأدب، ورسم موسيقي، ونحت وغيرها. ذلك أن النقد مطالب بتجديد آلياته بما

(١) - وهي رؤية الباحث التي يسعى لبيانها انطلاقا من إعادة النظر في الغلو الملاحظ في الدراسات الموجهة للعلوم الإنسانية والأدبية على الخصوص، هذه الدراسات التي تتأسس على فكرة الموتية وحديث النهايات، وقد عمل "فاتيمو Vattimo على حصر توجهات النصف الثاني من القرن العشرين في خمس مبادئ تجمع بينها فكرة النهايات: نهاية الفن وأفوله، موت النزعة الإنسانية، العدمية، نهاية التاريخ، تجاوز الميتافيزيقا. وهي الرؤية التي يجب أن يتم خلقتها والتأسيس لمنظور قوامه التكامل بدل الإلغاء. للتعرف أكثر على فكرة الموتية والإلغاء ينظر (بدر الدين مصطفى: من موت الإله إلى موت المؤلف، مؤمنون بلا جدود للدراسات والأبحاث، ٠٦، نوفمبر ٢٠١٧، ص ٠٥ موقع <https://www.mominoun.com> بتاريخ ٢١-١١-٢٠٢٠). وينظر أيضا الفصل الثالث من كتاب: حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠،

(٢) - محمد سالم سعد الله: التنمية النقدية، دراسات نصية في المنتج المعرفي، نشر نور بألمانيا، ٢٠٢٠، ص ٠٧.

يتناسب والتطورات التي عرفها الوجود الإنساني، فسمّة التداخل التي ميزت الحضارة المعاصرة تستوجب على النقد إعادة اكتشاف خارطة الوجود، بما يكفل للإنسان إعادة التّعرف على ذاته من جديد، وعلى وظيفته في الوجود، وعلى طبيعة الفعل الحضاري الحاصل، ومقاربة الإبداع بمنظور جديد.

يهدف النقد المعرفي إلى إعادة اكتشاف جغرافية الفكر^١ من خلال « قواعد جديدة لرؤية نقدية بنّاءة لثقافة الغرب وللتقافات جميعا في الشرق والغرب على حدّ سواء وصولا إلى تفاهم مشترك وإلى فهم جديد... فهم نقدي جديد لذواتنا الاجتماعية في التاريخ، ولقضايانا الساخنة عن الهوية والتراث... إلخ، وفهم نقدي جديد لتحولات عالم بات صغيرا تكثف فيه الزمان والمكان، وتكاثفت وتكافأت فيه النقائض التي تكاد تصدع وعي ووجود الإنسان^٢»، لتغدو النصوص المُنتجة معبرة عن الوعي الوجودي للإنسان في كل عصر، ولا سبيل لفك شفرتها إلا بالبحث في خارطتها الجينية، عبر رؤية منهجية قوامها البعد المعرفي للوجود الإنساني.

يذهب عالم النفس الصيني "ريتشارد إي. نسيبت" وهو يبحث في خرائط الفكر وعلاقة الفكر بالسلوك الإنساني إلى أن النظرة الكلية الشمولية إلى الطبيعة والفكر البشري تجعله مؤمنا بأن جميع البشر يدركون بحواسهم، ويستدلون بعقولهم بطريقة واحدة، وبذلك «منذ فجر الإدراك البشري والإنسان يسعى باتجاه المعرفة المطلقة التي تحيط بتشكيل الظواهر الطبيعية والإنسانية متداخلا مع الوجود عبر جملة من قواه الإدراكية التي (تحقق الاتصال) بهذا الوجود والتفاعل النفسي والعقلي معه»^٣. وهذا التداخل يستوجب على الناقد وهو يعيد النظر في الإبداع أن تتسم رؤيته بالشمولية، ولكنها شمولية لا تقود إلى

(١) - هذا الهدف استنجزته من خلال مدارستي للنقد المعرفي، والمصطلح "جغرافية الفكر" استخدمه "ريتشارد إي نسيبت" وهو بصدد الحديث عن تفكير الآسيويين والغربيين، وتبين لي أن المصطلح يصلح للدلالة على مجال بحث النقد المعرفي، ولم يتم استخدامه من قبل بخصوص النقد المعرفي.

(٢) - ريتشارد إي نسيبت: المرجع السابق، ص ١١.

(٣) - محمد أبو القاسم حاج حمد: إستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج، ط١، لبنان: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ٣٧.

التناقض المنهجي، بل تتأسس على التكامل المعرفي، فالذات الإنسانية واحدة في تكوينها، وطرق تفكيرها سواء كانت الذات مؤلفا للنص، أو قارئاً له. ومثلما يرتبط المؤلف بسياقات إنتاج، تتعلق بالقارئ سياقات تلقى ليكون النص بؤرة مركزية تلتنقي في ظلها كل خيوط الإبداع والتلقي على حد سواء، ويكون النقد المعرفي نافذة قرائية لذلك. وعليه؛ فما النقد المعرفي وما الغاية التي يسعى إلى تحقيقها؟

١- الإطار المفهومي للنقد المعرفي

بعد التكوُّن^١ المنهجي حول النص الأدبي، والذي تعلق بالمناهج السياقية، وما تولد عنها من إضاءات كاشفة للنص، بناء على ما تمنحه سلطة الخارج، كان التوجه إلى النص في حد ذاته، بعيداً عن كل ما يحيط به من سياقات، ثم التوجه إلى القارئ، ليكون مفتاح النص ملك يمينه؛ فهو من يملك سلطة القراءة. إنها لحظات ثلاث؛ لحظة المؤلف والسياقات الخارجية، ولحظة النص والقراءات النسقية، ولحظة القارئ والقراءات التأويلية^٢. ولكن هل آن الأوان لميلاد مدخل جديد؟ مدخل يجعل النص رحماً للأفكار، ويرسم أفقه انطلاقاً مما هو جمالي في النص، وينفتح على المؤلف والقارئ وكل السياقات؛ فيتعلق بالمؤلف والسياقات الخارجية من جهة، ويرسم أفقا آخر مع القارئ، ويستثمر في ما أنجزته المعرفة العلمية من كشوفات حول الإنسان وما يتمتع به من خصائص عقلية تمكنه من التفكير والمعرفة. وهذا المدخل يمكن أن يدعى "النقد المعرفي".

النقد المعرفي تركيب بالإضافة يتأسس فلسفياً على إعطاء قيمة ومفهوم جديد، ذلك أن الإضافة تمثل المقولة الرابعة في التصور الأرسطي، وتعني «جمع تصورين أو

(١)- التكوُّن: من مصطلحات الباحث المغربي "طه عبد الرحمان" ويقصد به الكثرة الممكنة تحت الوحدة الظاهرة، وهو فعل عقلي؛ فلا يتكوثر إلا العقل، وقصدي فلا يتكوثر إلا الفعل القاصد، ونفعي فلا يتكوثر إلا الفعل النافع، وذلك ما تمثّل في التكوُّنات النقدية التي توجهت بالدراسة للنص الأدبي، فوحدة النص التكوينية تتكوثر حولها جملة من الآراء النقدية التي تختلف باختلاف وجهات النظر ومنطقات المنهج. ينظر، طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١، المغرب، لبنان: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨، ص ص ٢١ وما بعدها.

(٢)- بحث هذه القضايا بشكل موسع العديد من الدارسين ربما أهمهم في النقد العربي المعاصر: حمودة، عبد العزيز في كتابيه المرايا المحدبة والمرايا المقعرة. فيمكن العودة إليهما للتفصيل.

أكثر في فعل ذهني واحد»^١. والمصطلح التأسيسي الأول "النقد" يحمل دلالة القدرة على التمييز والحكم على الأشياء، ذلك أن «النقد هو إبراز نقص في تصور معين، وإبراز النقص في فكرة محددة يقتضي كشفا عن المسلمات المضمرة، والخطوات المؤدية إلى الفكرة، وذلك على خلفية نظرية واعية توظف آليات تحليلية لغوية وتدليلية؛ وإبراز النقص في الفكرة تلك، يستلزم بصيغة مباشرة أو غير مباشرة فتح المجال أمام الأفكار المنافسة لها»^٢. ومثلما يتعلق النقد بإبراز النقص، يتعلق بإظهار المحاسن وتقدير الأشياء حق قدرها، إذ مثلما يكون إبراز النقص فرصة للتحسين، يكون إظهار المحاسن مجالا للارتقاء، والتمسك، والتمثل، واحتذاء المنوال، كما في تجاوز المؤلف بغرض التجديد، إذ الإبداع مغامرة جمالية على حد تعبير "محمد صابر عبيد" في العديد من كتبه التي حملت سلسلة المغامرة الجمالية للنص عنوانا لها^٣.

إن إضافة "المعرفي" للنقد تحدد المجال المفهومي له، إذ يشير لفظ المعرفة «إلى فعل المعرفة، أو إلى الشيء المعروف، ويشير أيضا إلى مجرد عرض شيء ما، أو إلى إدراكه وفهمه. وعموما يشير لفظ المعرفة إلى نشاط الفكر الذي يثبت شيئا ما بالإيجاب أو بالسلب»^٤، كما «يشير إلى محتوى المعرفة ومضمونها»^٥. وتتعلق المعرفة في إطارها المفهومي بالإدراك، يقول "الراغب الأصفهاني": «المعرفة والعرهان إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره»^٦، وعرفها "الشريف الجرجاني" بقوله: «المعرفة: إدراك

(١) - جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ط١، تونس: دار الجنوب للنشر، دت، ص ٥٠.

(٢) - بناصر البعزاتي: خصوصية المفاهيم في بناء المعرفة، دراسات إبسيمولوجية، ط١، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص ١٨.

(٣) - يمكن أن نذكر على وجه الخصوص: عبيد، محمد صابر: المغامرة الجمالية للنص الشعري، و عبيد، محمد صابر: المغامرة الجمالية للنص السردية.

(٤) - جلال الدين سعيد، المرجع السابق، ص ٤٣٣.

(٥) - المرجع نفسه، ص ٤٣٣.

(٦) - الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، سوريا: دار القلم، الدار الشامية، ٢٠٠٩، ص ٥٦٠.

الشيء على ما هو عليه»^١، وعرفها "مرعي توفيق" و"محمد محمود الحيلة" بأنها «مجموعة المعاني، والمعتقدات، والمفاهيم، والأحكام، والتصورات الفكرية التي يتحصل عليها الإنسان نتيجة محاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به»^٢. وبذلك فهذا التركيب بالإضافة "النقد المعرفي" يجعل مجال النقد المعرفي متسع المدى باتساع المعرفة ذاتها؛ أي إنه نقد موجه إلى هذا المجال المفهومي الواسع، وبذلك فكل ما يفكر فيه الإنسان أو يمكن أن يفكر فيه هو مجال طبيعي لاشتغال النقد المعرفي، إذ « المعرفة الإنسانية فعالة بشكل جوهرى. فأن نعرف يعني أن نستوعب كيف انتقل الواقع من حالة إلى حالة أخرى»^٣. ويأتي الإبداع لمحاكاة هذا الواقع وتصويره، ويأتي النقد المعرفي للبحث في أسراره الفكرية والمعرفية، وإعادة اكتشافها.

وإذا كانت المعرفة أساس الوجود الإنساني في حقيقة الأمر؛ فما يميز الإنسان عن بقية الكائنات الأخرى هو قدرته على التفكير، وهو كائن ثقافي بطبيعته الفطرية، واجتماعي بطبيعته الإنسانية، فإن الإنسان يسعى دائما إلى استثمار المعرفة بغرض التأقلم الإيجابي مع المحيط الطبيعي، وإعادة النظر في البصمات التي يتركها في مسيرته الحياتية التي يخلدها عمراننا وآثارا، كما يخلدها فنا وإبداعا، ليأتي النقد في محاولة للكشف عن المستور، وهو المسعى الذي يعمل النقد المعرفي على استجلائه ومقارنته.

النقد المعرفي بحث « في بعد جديد في النص ألا وهو البعد المعرفي، ودور النص في تحويل العلامات الجمالية إلى خطاب معرفي يخاطب العقل»^٤. إذ تنشأ في

(١) - الجرجاني، علي بن محمد: كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مصر: دار الريان للتراث، د ت، ص ٢٤٣.

(٢) - محسن علي عطية: المناهج الحديثة وطرائق التدريس، عمّان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٤١.

(٣) - جان بياحيه: الإبستمولوجيا التكوينية، ترجمة وتقديم وتعليق: السيد نفاذي، مراجعة وتقديم: محمد علي أبو ريان، دمشق: دار التكوين، القاهرة: دار العالم الثالث، ٢٠٠٤، ص ٤٦.

(٤) - محمود خليف خضير الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، مقاربة في النظرية والأصول والمفاهيم، ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١٨، ص ٠٩.

العقل كل التصورات التي يريد مستعمل اللغة التعبير عنها، وتكون قمة التعبير في ما يودعه المؤلفون نصوصهم من معارف، تبقى حاملة لها عبر الزمان، وكلما التقى قارئ بالنص كلما تفجر منها مقدار، وتفتحت منها بعض الأسرار المعرفية.

يذهب "محمد مفتاح" في توضيح رؤيته المبكرة للنقد المعرفي إلى الاعتقاد أن النقد المعرفي استفاد من العديد من الحقول المعرفية وهو يطبق النقد المعرفي في مقارنة قضية المثاقفة، هذه القضية الجوهرية التي شغلت الفكر، ويرى أنها ذات بعد عالمي، وهي التي يؤسس لها من خلال الخيال، يقول: «إن مقاربتنا هذه ليست أنثربولوجيا ثقافية، أو دراسات مقارنة، أو أبحاثا في علم النفس التقليدي أو المعرفي، لكنها حاولت أن تستفيد من كل ذلك»^١، وعليه فـ «إن هذه المقاربة التي استندت إلى إوالية التكيف أدت إلى إنتاج "موضوع جديد" على المقاربة الأدبية المتداولة، وعلى الدراسات الأنثربولوجية المعتادة، والأبحاث الأدبية المقارنة المألوفة، وسنقترح تسمية له؛ هي "النقد المعرفي" الذي نأمل أن تسمح لنا ظروفنا بكتابة تفصيلية فيه»^٢، ولكن حسب متابعتي لإنجازه البحثي الكثير والمتنوع لم أتمكن من الاطلاع على ذلك إن كان قد أنجزه.

ويربط "الحياني" النقد المعرفي بثتى الحقول المعرفية، إذ هو «العملية العقلية المستوحاة مفاهيمها من فروع علم النفس، والاجتماع المعرفي ونظرية المعرفة، والمنطق، والرياضيات، واللسانيات، والسيميائيات، ونظرية التلقي، وفلسفة الذهن وعلوم العصر، والتي يتم عن طريقها التعرف على الموضوع المدرك لتفهم التشكيل المعرفي المتجلي في النص الإبداعي من قبل الذات العارفة للوصول إلى حقيقة الشيء أو المحكي المحرر من كل عرضية أو ظرفية أو واقعية»^٣. والناظر في هذا التعريف يلمس النظرة الشمولية للنقد المعرفي وعلاقته الحميمة بالمناهج النقدية متعددة المشارب، ومنه فأن تمارس النقد المعرفي يجب أن تكون محيطا بالمناهج المختلفة الموجّهة للسياق والنص والقارئ ومختلف علوم العصر.

(١) - محمد مفتاح: مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمثاقفة، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠، ص ٠٨.

(٢) - محمد مفتاح، المرجع السابق، ص ٨.

(٣) - محمود خليف خضير الحياني، المرجع السابق، ص ٣٢.

إن البؤرة المركزية للنقد المعرفي هي العقل كَمَرَكَزٍ للإدراك، ومُوجَّهٍ للسلوك ومُحدِّدٍ للمعرفة، ومُسْتَقْبَلٍ وَمُوجَّهٍ لها. إذ العلاقة « بين الحسي والعقلي، بين المعرفي والإبداعي، إنما تعكس عل نحو دقيق ومباشر نمط العلاقات بين الفرد والمجتمع في كل عصر، كما أنها ترتبط بهذا النمط أوثق ارتباطاً »^١. والتشكيل المعرفي لا يتجلى في النص بطريقة مباشرة دائماً إنما هو مضمَرٌ وخفي، ولا سبيل إلى كشفه إلا بالحفر عميقاً في الملفوظات اللغوية وما تحيل عليه من أبعاد ثقافية واجتماعية وغيرها.

والنقد المعرفي نقد مُؤَسَّسٌ على رؤية شمولية للوجود، والكون، والحياة، ومثلما يتسم بالرؤية الشمولية لجوانب النص المختلفة، فإنه يتعلق بجوانب الحياة المتعددة، إذ « يصعب الحكم على المعرفة بدون الحكم على الوجود، إذ هي فصل من فصوله، والنظرة التي تحكم الوجود هي النظرة التي تحكم المعرفة »^٢. وكل توجه نقدي إلا وهو خاضع لإرث فلسفي، فمثلما تشكل الفلسفة تصورات الإنسان عن الحياة التي يتبناها كل فيلسوف وتنسحب على تصويره للأدب والفن فإنها حتماً تنتسل إلى موقفه النقدي وتتحكم في الأحكام التي يصدرها. و« لا يوجد علم منفصل تماماً عن الخلفيات الفلسفية، كما لا توجد عقيدة دينية بدون مضمون معرفي، ولا توجد حكاية بدون خبرة عملية. لكن حضور المعرفة والأحكام المعيارية الجمالية غير متساوي هنا وهناك. فهناك من المذاهب ما يضحى بالجانب المعرفي خدمة لأغراض عقيدية عن طريق التأويلات "البعيدة" أو أحقية الأخلاق، أو غير ذلك؛ كما أن هناك من المذاهب ما يرى أنه يجب التخلص من المعتقدات غير الوضعية لأنها تشوش على الفكر السليم »^٣. غير أن النقد المعرفي يحاول التخلص من المقولات الضدية في فهم الوجود، ونقد الأدب الذي تشكل حول هذا الوجود إلى المقولات التكاملية، التي تجمع شتات الفكر، وتصهره في البوتقة الجديدة التي تعلي من شأن التفكير كعاصم من التناقض. وقديماً كان منظور "أفلاطون" وحكمه النقدي على

(١) - غيورغي كاتشف: الوعي والفن، ترجمة: نوفل نيوف، مراجعة: سعد مصلوح، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٤٦، الكويت: منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فبراير ١٩٩٠، ص ١١.

(٢) - راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والسنة، ط ١، المملكة العربية السعودية: مكتبة المؤيد، ١٩٩٢، ص ١٧.

(٣) - بناصر البعزاتي، المرجع السابق، ص ٧٢.

الشعر منسجما مع فلسفته المثالية وموقفه الأخلاقي^١، مثلما كان موقف "أرسطو" من الشعر والشعراء منسجما مع فلسفته التي منحت الشاعر قيمة، وأعطت الشعر وظيفة وهي التطهير^٢، مثلما كان موقف الفلسفة الإسلامية من الشعر منسجما مع الرؤية الإسلامية التي تعلي من قيمة الفن القولي من جهة أولى، وتمنحه الأفضلية، وبالفكر ذاته ترفض الشعر الذي لا ينسجم مع مبادئ الدين وقيمه^٣.

ولذلك فكل مذهب أدبي يستند إلى خلفية فلسفية، وبالمقابل فإن كل توجه نقدي يستند إلى خلفية تؤطر مقولاته، وتنظم مصطلحاته، ذلك أنه «لما كانت الفلسفة علم قوانين الوجود العامة، والفكر الإنساني، فإنها تشكل النقد وتوجهه. وقد ولد النقد عند الفلاسفة، وارتبط بالفلسفة -عند اليونان- حتى صار فرعا من فروعها»^٤. وعليه يختلف النقد من منظور نقدي لآخر بناء على المقولات الفلسفية التي يتبناها، أو منظومته الفكرية

(١) - ينظر الكتاب الثالث من جمهورية أفلاطون. أفلاطون: جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٢٨٧، ٢٤٦.

(٢) - أرسطو: فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم حماده، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢، ص ١٤١.

(٣) - تتجلى هذه النظرة عند القدامى في ضرورة مراعاة المقاييس الأخلاقية في إقامة الأحكام النقدية، يقول محمد مرتاض وهو بصدد الحديث عن النقد الخلقي بعد أن استعرض آراء ابن رشيق، وابن شرف، والحصري، والقاضي عياض، وعبد الكريم النهشلي: "وتكاد آراؤهم مع ذلك تجتمع على الشعر الذي يوحد ولا يشتت، وينمي سلوكا حسنا، أو يبعث في النفوس صلابة، ويدعو إلى البر، ويصحح السلوكات، وكانوا يعيرون كثيرا من الأغراض التي تزرع الفتنة وتقوي الشحناء، وتقل العزيمة. من أجل ذلك وقفوا طويلا إزاء الأغراض الشعرية، وأيها أصلح للناس من غيره" (محمد مرتاض: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، دراسة وتطبيق، ط١، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠، ص ١٢٤)، ومثلما كانت هذه الرؤية محط أنظار القدامى فإنها اتخذت في النقد المعاصر منحى أكثر وضوحا وتجليا من خلال الكتابات المتعلقة بالأدب الإسلامي ونقده، من ذلك قول عبد الباسط بدر: "ولئن بحث بعضهم عن رخصة لبعض مبالغات الشعراء، وتجاوزاتهم فقد أنكروا جميعا أي خدش للقيم الإسلامية" (مقالات الإسلاميين، ص ٣٥). ينظر، أحمد الرفاعي شرفي: مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، القسم الثالث: النقد الأدبي الإسلامي، ط١، لبنان: دار ابن حزم، الجزائر: الشركة الجزائرية اللبنانية، ٢٠٠٩.

(٤) - سعيد عدنان: الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي، ط١، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٧، ص ١٥.

التي تتسلل إلى نسيجه الاصطلاحي، أو إلى حقله المفاهيمي. ومثلما يوجد التناقض الصارخ بين بعض الفلسفات كالذي بين العقلية والتجريبية، فإن بعض الفلسفات لا تقيم التعارض الصارخ بين مقولاتها، وإنما تعتمد التكامل المعرفي، لتكون الرؤية الفلسفية جزئية بما تتضمنه من تفرد، ولكنها في الإطار الكلي تشترك مع فلسفة أخرى، شأن الفلسفات المادية التي يجمع بينها التفسير المادي للوجود، مع اختلاف في آليات إدراك المعرفة؛ بين كونها معرفة سيكولوجية أساسها بيولوجي سلوكي، أو أن أساسها سيكولوجي معرفي، وشأن الفلسفة الإسلامية التي تجعل الوجود لا يُفسَّر إلا من خلال وجود الخالق، ولكنها تختلف في ثنائية النقل والعقل، وسلطة كل منهما في الأولية في الوصول إلى المعرفة.

يأتي النقد المعرفي ليستند إلى الفلسفة التي تعلي من شأن التكامل في تفسير قضايا الكون والإنسان والحياة، إذ لا يمكن لنظرية واحدة أن تحل لغز الكون، ولا يمكن لعقل بشري أن يكون رهين تصور أحادي في شتى مناحي التجربة الشعورية واللاشعورية التي يحياها، وإنما هو رهين تصور شمولي، يستقي قيمه العليا من الفلسفة، أو الدين الذي يؤمن به، ولكن المعارف الإنسانية التي لا يمكن أن يحجبها التفاعل الحياتي مع المعرفة الإنسانية تتسلل إلى ذاته، وتحاول أن يكون لها فعلها المعرفي الذي تكون له من البصمات الإيجابية ما يجعله جديراً بالاحترام، وقد كان سلوك الفلاسفة المسلمين في فجر الحضارة الإسلامية واضحاً من خلال الكيفية التي استقبلوا بها تلك الفلسفات بما أغنى درس الفلسفي والنقدي عند المسلمين من جهة وبما جعل الآراء الفلسفية والنقدية عند الفلاسفة الكبار ابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرهم لا تخرج عن الروح الفلسفية الكبرى المؤسسة على العقيدة الإسلامية^١.

(١) - يقول "حسين مروة" وهو بصدد بيان انتقال العلوم إلى الثقافة العربية: "وفي المسار الطويل لحركة هذا الانتقال، خلال القرنين الأولين للهجرة، كانت تتضح الحاجة شيئاً فشيئاً، إلى منهج عقلائي معين يتخذ الفكر العربي دليلاً له في ممارساته الجديدة لكثير من المعارف الجديدة عليه، المتنوعة الأشكال والموضوعات والمصادر البشرية، كي يحسن استخدام هذه المعارف وتطویرها وإغناءها بتجربته الخاصة " (حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، الجزء الثاني، ط٢، لبنان: دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٤٥٣). ويتجلى ذلك على سبيل المثال في تضمين تلخيص ابن رشد لكتاب أرسطو "فن الشعر" بعض الآيات القرآنية ومحاولة التمثيل بالشعر العربي بدل التمثيل بالشعر الإغريقي الذي

ويمكن القول إن ذلك التأسيس الفلسفي والنقدي يمكن أن نطلق عليه الفلسفة المعرفية، التي تتهل من العديد من الروافد، ولكنها تبقى محافظة على نسقها الكلي والأساسي، والذي تتصهر في بوتقته كل الرؤى الوافدة، بما يغني الفلسفة ويوجه النقد من جهة أولى، ولا يلغي الآخر من جهة ثانية.

وأعتقد أن النقد المعرفي إذا أراد أن يكون نافذة قرائية جديدة، لها من التبصر المعرفي ما يحقق لها وجودا تكامليا عليه أن يحتذي حذو التفكير الفلسفي والنقدي للفلاسفة النقاد المسلمين، وذلك بالانفتاح على بقية الفلسفات والحقول المعرفية عبر التخصصية، ذات التوجهات المختلفة، مع المحافظة على الكينونة الذاتية.

إن الطابع الإشكالي للنقد المعرفي يجعله في علاقة مع كل ما يرتبط بالمعرفة بدءا بالذات المنتجة للمعرفة وما تتميز به من قوى إدراكية إلى ما يتشكل حول الوجود من أفكار وتصورات، تكون اللغة معبرة عنها. وعليه، فمثلما رأينا مع " الحياياني " وهو يبحث في تعالقات النقد المعرفي مع شتى الحقول المعرفية والنقدية التي يتقاسم معها مجال الاهتمام، فإن الناقد المعرفي "محمد سالم سعد الله" عمل على وضع أطر مفهومية له. يقول: « مصطلح (النقد المعرفي) هو مصطلح يقدم مجموعة من التوجهات العلمية، ويتجه -كما نرى- إلى بيان التناول الشمولي في فهم النص وترجمته إلى خبرة المتلقي وبيان معطياته، ويسهم هذا التناول في رسم حوارية معرفية مع النص، متناسقة مع مدركات التلقي ونهجه، ولديه إمكانية التحول من (الظاهرة/ العوامل) -بوصف النص مجموعة من التراكيب العيانية- إلى (الخبرة / الفواعل) «^١. والمتأمل لهذا التحديد يجده يؤسس لجملة من القضايا يمكن بيانها في الآتي:

- التوجه العلمي للنقد المعرفي، إذ هو يستثمر معطيات العلم المعاصر في فهم السلوك البشري المؤسس على المعرفة العلمية.

تأسست عليه أفكار أرسطو، على ما شاب ذلك الاستقبال العربي من ضبابية في فهم مصطلحات أرسطو. ينظر: أمجد الطرابلسي: نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة: إدريس بللميح، ط١، المغرب: دار توبوقال، الدار البيضاء، ١٩٩٣، ص ص ٧٦، ٨١.

(١)- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث،

٢٠١٣، ص ٠١.

- مبدأ الشمولية في تناول، إذ هو نقد « شمولي وعلمي، يتناول النص ليمنحه قيمه التي غابت بفعل قراءات جنينية ومختبرية، أفقدت النص روحه ومشروعه في حمل الكلمة المسؤولة الموظفة التي من المفترض أن تحمل دلالات تنهض بالقارئ وتشجعه على الفعل والممارسة»^١.

- التأكيد على خبرة المتلقي ومعطياته المعرفية والسياقية في إقامة الحكم النقدي.

- الحوارية مع النص تجعل المتلقي فاعلا في إنتاج المعرفة المتسللة للنص.

- يحكم النص معرفيا ثنائية الظاهرة/ العوامل والخبرة/ الفواعل، الظاهرة المدروسة والتي تجمع بين منتج النص بحيثياته السياقية والنص بحيثياته النسقية، والخبرة التي تمثل ما ينتجه المتلقي من معرفة باستنطاق النص والإحالة على شتى المرجعيات اللغوية والقرائية.

تتضح كفاءة النقد المعرفي بما يتأسس عليه من رؤية منهجية لا تقول بالإلغاء، بل تتأسس على الاستثمار، ذلك أن النقد المعرفي « يمتلك من إرادة التغيير لمهيمنات الفعل النقدي المتوارث، ويتسلح بثقافة التطوير من خلال نهجه الشمولي»^٢، الذي يعتبر التراكم المعرفي مادة يمكن استثمارها في تحليل النص وفهمه في رؤية شمولية، وفي حوارية تنهض من المنجز النصي، وتحفر بعيدا في أغوار النص اللغوية والمعرفية، وترسم آفاقا تمتد إلى المبدع وحيثياته المعرفية، وتتعانق مع المتلقي وما يمتلكه من إمكانات معرفية، تسمح بالكشف عن أوليات تشكيل المعنى المرتمسة ملامحه في العبارة أو المتعلقة في الرمز والإشارة.

إن المشتغل على النص من وجهة نظر معرفية، يستوجب عليه مجال الاشتغال امتلاك الكثير من الكفاءات التي تؤهله للكشف عن كل البنى المكونة للنص. وبذلك « تنهض الممارسات المعرفية بحيوية الخطاب الممكن الساعي لفحص المعتقد، وبيان معوقات تشكيل الذات الإنسانية، من خلال تحديد إمكانات نقدية تنطلق من سياقات

(١) - محمد سالم سعد الله ، المرجع السابق، ص ٠٢.

(٢) - محمد سالم سعد الله ، المرجع السابق، ص ٠٢.

تسعى للحوار، وتنتجه للفاعلية، وتقدم الإقناع مؤازرا للإمتاع، تروم فحص النص التراثي، ولا تسلم بقدسيته، وتمتلك النص الحدائي، مؤمنة بقدرته على تكوين أجددة معرفية، مهمتها تحصيل اللغة، وتحليل النسق، وساعية لكسر الحدود الأجناسية المصطنعة، مفرزة معطيات علمية للمسكوت عنه أولا، ومؤسسة عناصر نقدها على جملة من السلوكيات المعاصرة ثانيا^١. إن النقد المعرفي نقد إنساني، فهو يعمل على استعادة الإنسان؛ مؤلفا، وتاريخا، وسياقا، ونصا، وتلقيا، في مسعى يحاول امتلاك رأس خيط في اللعبة الإبداعية التي اختلطت فيها الأجناس وتداخلت، « بما يخفي تراثا إبداعيا ضخما، ورؤى نقدية عديدة^٢. فمثلا لم تعد مقولة نقاء الجنس الأدبي مجدية منذ أن صرخ "سيباستيان مارسيه" في ظل الرومانسية قائلا: « تساقطي، تساقطي أيتها الجدران الفاصلة بين الأنواع، لتكن للشاعر نظرة حرة في مرج فسيح، فلا يشعر بعبقريته سجينه الأقفاس، حيث الفن محدود ومصغر^٣، لم تعد مقولة استقلال المناهج مجدية فالظاهرة الإبداعية معقدة تعقيد تكوين الإنسان ذاته، ولا سبيل إلى التعرف عليها إلا بالرؤية الشمولية التي يتبناها النقد المعرفي كإبدال منهجي، يستثمر المنجز النقدي، ويوجهه وفق منظوره التكاملي.

يقول "محمد سالم سعد الله" مبينا اتساع المجال المفهومي للنقد المعرفي « نتحدث عن النقد المعرفي بوصفه جهدا اصطلاحيا مناسبا لاستيعاب الجهد العربي النقدي بمدخل عدة، مصطلح يحاور النقد الثقافي، ويحوي النقد الأدبي، ويناقش النقد الأيديولوجي العقدي، ويستوعب النقد النفسي والتاريخي والاجتماعي، ويكتسب سمات معرفية متجددة ومتطورة بتطور النهج الفكري العالمي في إطار الدرس الحضاري بشقيه الأكاديمي المؤسساتي الجامعي، والإبداعي الفردي ذي الخصوصية، إنه ممكنات ومعطيات وتقنيات وسلوكيات معرفية مناسبة لعصر انهارت معه حدود الأجناس، وبيان

(١) - محمد سالم سعد الله، المرجع السابق، ص ٠٢.

(٢) - محمد عبد الله عروس،: تداخل الأجناس الأدبية، مفاهيم وتصورات، ط١، الجزائر: منشورات إقرأ، قسنطينة، ٢٠١٩، ص ١١٦.

(٣) - بول فان تيغم: المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط٣، بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٣، ص ١٤٩.

فيه التداخل المعرفي بين العلوم^١. ومنه نكون أمام التأسيس لمنظور نقدي جديد، يكون فيه منطق التحرر من كل القيود التي أثقلت الدرس النقدي، وشكلت حوله من القيود الوهمية بدعوى الانغلاق، تارة والتفكيك أخرى، إلى دعوى جديدة لا تسلم قيادها إلا لما يمنحه النص من تقاطعات، تصنع سداها لحمّة جمالية، ولغة عليا، أبدع المؤلف تشكيلها، وخيوط نسيج تم جلبها من العديد من المواطن والكثير من الأنواع، وصنوف من السّدَى الذي يجمع الخيوط مع اللحمة.

يذهب "محمد سالم سعد الله" إلى أن النقد المعرفي قادر على أن تتدرج ضمنه نظرية المعرفة برمتها، يقول: « يستوعب مصطلح النقد المعرفي الذي نسلك خطوات البحث عنه-تنظيرا وتطبيقا- دراسة نظرية المعرفة، وعلاقتها بتاريخ العلوم وفلسفتها، فضلا عن علاقتها بالعلوم الإنسانية المختلفة^٢، وهذا رأي فيه كثير من الإطلاق غير المبرر، ذلك أن النقد المعرفي يندرج في الحقيقة ضمن النظرية المعرفية العامة التي تتعلق بكل ما هو فلسفي، وما هو إبداعي، وما هو نقدي. فيكون النقد المعرفي أحد فروع النظرية المعرفية العامة، وليس العكس كما اعتقد "محمد سالم سعد الله"، لأن المعرفة منها الفلسفية والنقدية والإبداعية وقس على ذلك كل ما يمثل مجالا لاشتغال الفكر.

وبناء عليه، يمكن القول: إن النقد المعرفي نقد شمولي، يتخذ من الجمالي مادة للكشف عن المعنى المعرفي المخبوء تحت الجمالي، في منظور يتسم بالشمولية والعلائقية، مستثمرا كل معطيات العلم، ومؤكدا على القدرة على الفهم والإدراك، وينطلق من شبكة تصويرية يحضر فيها المؤلف وما يتعلق به من سياقات إنتاج، والنص وما يتشكل فيه من عوالم تعبيرية وتصويرية والقارئ وما يفتحه من آفاق فكرية ومعرفية.

٢- أهداف النقد المعرفي

النص كبنونة من المعارف، ولا سبيل إلى الإمساك بتلك الكينونات الجزئية إلا بالبحث في ما ينشأ بينها من علاقات، وما يتولد بينها من تأثير وتأثر، فكل ما في الوجود يخضع للسبب، فهو إما مسبب، أو خاضع لتأثير سبب. ويأتي النقد المعرفي

(١) - محمد سالم سعد الله ، المرجع السابق، ص ٠٣ .

(٢) - محمد سالم سعد الله ، المرجع السابق، ص ٠٢ .

للكشف عن تلك الأسباب المحركة والدافعة لحركة المعرفة في النص. وأهم ما يسعى النقد المعرفي إلى تحقيقه:

أ- اكتشاف وتحديد الأفكار

يسعى النقد المعرفي إلى اكتشاف وتحديد الأفكار المبتوثة في النصوص التي بنى منها الكاتب عالم النص -وقديما قال الجاحظ الأفكار مطروحة في الطريق^١- فمنها مادة البناء الأولية التي تمثل عالم النص قبل تشكله. فالكلمات لبنات البناء لنسيج النص، والأفكار مادة البناء، وفي غياب المادة لا يمكن أن تتشكل اللبنة. وعليه يسعى النقد المعرفي إلى إعادة اكتشاف المادة التي بنيت منها عوالم النصوص اللغوية.

ويتأسس النقد المعرفي على الفكر المركب، ذلك أن «الفكر المركب يتطلع إلى المعرفة متعددة الأبعاد، بيد أنه يعرف منذ البداية استحالة المعرفة الكاملة»^٢. وذلك ما يولد لديه القدرة على النمو والبحث المستمر بغرض الوصول إلى محطات لها دائما ما بعدها، فالنقد المعرفي مثلما يرفض مقولات الموت والنهايات يرفض بالمقابل الاكتمال، فكل معرفة إلا ولها علاقة بمعرفة سابقة ومؤسسة لمعرفة لاحقة.

ب- تقييم الأفكار

ومثلما يسعى إلى اكتشاف الأفكار وتحديد ما يعمل على تقييم الأفكار، فما الذي يكسب فكرة الخلود والاستمرار؟ إنه بلا شك ما ينشأ حولها من قبول أساسه الآراء النقدية التي سوقتها والحجج القوية التي بنيت عليها.

(١)- يقول الجاحظ: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيار اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير". الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، ج٣، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٥، ص١٣١، ١٣٢.

(٢)- إدغار موران: الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصور ومنير الحجوجي، سلسلة المعرفة الفلسفية، ط١، الدار البيضاء: دار توبوقال، ٢٠٠٤، ص١٠.

ت- التشجيع على التفكير

كثيرا ما نعت النقاد من طرف خصومهم بأنهم عالة على الأدب والأدباء فمن مؤائدهم يقاتون وعلى اغتيابهم يشكلون وجودهم، وقد يكون الأمر فيه بعض الحقيقة إذا تعلق النقد بمجرد وصف الأعمال، أما إذا تعلق النقد بالحفر عميقا في طبقات النصوص، وإعمال الفكر وشحذ الذاكرة، فإن الأمر سيختلف ويصبح الناقد منتجا للمعرفة ويصبح النقد مشجعا على التفكير، وتلك هي الرسالة التي يسعى النقد المعرفي إلى استعادتها.

ث- السلوك الإيجابي في الحياة

يسعى النقد المعرفي إلى اكتشاف رسالة الكاتب ورؤيته لقضايا الإنسان والكون والحياة، فالكاتب له رسالة حضارية يود تبليغها، وله رؤية حضارية يستند إليها وهو ينسج عوالمه النصية وله هدف في الحياة نذر قلمه لأجلها.

ويمكن تلخيص الأهداف التي يسعى النقد المعرفي إلى تحقيقها في ما قاله الناقد المعرفي "سعد الله": «يقدم النقد المعرفي إمكانية الاشتغال على إمكانات التحليل من خلال تمكين الإدراك للتصورات العلمية في محيط النص وخارطته، كما يسهم في عملية تنظيم الأفكار الموفدة ونقدها بوصفها تقويما أو حكما على نص أو مجموعة نصوص، إنه إمكانيات قرائية وتواصلية لا حد لها في إطار من المعرفة الشمولية التي تبغي الدقة في التحليل، وتتوخى القصد في تحديد المعنى، والمسؤولية في تقديم المفاهيم»^١. وبذلك فالنقد المعرفي اشتغال عبر تخصصي، يهدف إلى تكوين رؤية شمولية، تنهض من اللغوي في النص كبنية دالة، تتواشج علائقيا مع كل ما يحيط بالنص لحظة الإنتاج ولحظة التلقي على السواء.

رابعاً: النص وأسئلة النقد المعرفي

إن المحطة الرئيسية التي يشغل عليها النقد المعرفي هي النص، وما يتشكل حوله من أسئلة.

١- النص من منظور النقد المعرفي

(١) - محمد سالم سعد الله ، المرجع السابق، ص ٠١ .

إن المقاربة المنهجية التي يتأسس عليها النقد المعرفي تعيد صياغة مفهوم النص في حد ذاته، النص بالنسبة للنقد المعرفي موضوع نقاش يتأسس على ما هو جمالي للوصول إلى ما هو ثقافي معرفي فكري، وعليه فالنص كما يقول بارت "متعدد"^١، وكل ما يحمل معرفة هو نص ثقافي يمكن مقارنته معرفياً.

النص من وجهة نظر معرفية غني بالمعلومات، ودور النقد المعرفي أن يعيد اكتشافها وحتى يتمكن من ذلك عليه أن يقوم بمعالجة تلك المعلومات، ومصطلح معالجة المعلومات أخذه النقد المعرفي من علم النفس المعرفي ويدل -كما يقول فتحي الزيات- على «طريقة الفرد المميزة ومستوى استقباله ومعالجته للمادة المتعلمة وكيفية تعميمه وتمييزه وتحويله وتخزينه لها وكم وكيف الترابطات التي يستحدثها أو يشتقها أو ينتجها بين الأعمال الجديدة والمعلومات القائمة في البناء المعرفي له»^٢، فكل فرد له قدرته الخاصة في تحليل المعلومات المبنوثة في النص، وكذا معالجتها، وقدرته على استحضار النصوص الغائبة من خلال الحاضرة، وكل ذلك يحكمه المدخل الإدراكي للنص.

يمثل الإدراك «العملية الرئيسية التي من خلالها يتم تمثيل الأشياء في العالم الخارجي وإعطائها المعاني الخاصة بها، فهو عملية معرفية تمكن الأفراد من فهم العالم الخارجي المحيط بهم والتكيف معه»^٣. والنقد المعرفي اشتغال على تمثيل ومساءلة نماذج نصية تعيد إنتاج العالم وتصوير المحيط الثقافي، وعليه تتساءل "ماري لورريان" (باحثة وناقدة سويسرية) «ألم تمثل المقاربات المستوحاة من العلوم العرفانية موجة المستقبل

(١) - يقول رولان بارت: "النص متعدد، وهذا لا يعني فقط أن له عدة معان، ولكن، إنه يحقق للمعنى المتعدد نفسه: تعددية لا عودة عنها". رولان بارت: من العمل إلى النص، ضمن كتاب آفاق التناسلية، المفهوم والمنظور، تعريب وتقديم: محمد خير البقاعي، ط١، لبنان: جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١٣، ص ٢٢.

(٢) - شذى عبد الباقي محمود، و مصطفى محمد عيسى: اتجاهات حديثة في علم النفس المعرفي، ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ٩٦.

(٣) - شذى عبد الباقي محمود، و مصطفى محمد عيسى، المرجع السابق، ص ١٢٧.

لدراسات الأدبية؟»^١، وفعلا مثلما انتقل الاشتغال في علم النفس من النظرية السلوكية مع "واطسون" إلى النظرية المعرفية مع "جان بياجيه" ومن جاء بعده، و«هيمنت في تسعينيات القرن الماضي النظريات الثقافية على الدراسات الأدبية»^٢، فإنه بات من الضروري معالجة النصوص معرفيا، ونشأت نتيجة ذلك جملة من التوجهات المعرفية يأتي على رأسها النقد المعرفي، إضافة إلى الشعرية المعرفية والسيميائية المعرفية والبلاغة المعرفية، والسرديات المعرفية، والتلقي المعرفي، والجمالية المعرفية بل يتعدى الأمر ما هو نقدي إلى حقول أخرى كإقتصاد المعرفة، لنكون أمام نص متعدد بجوانبه التشكيلية ومتعدد بجوانبه التدليلية، التي يعد النقد المعرفي مفتاحها الأساس.

يشغل النقد المعرفي على نص يفترض فيه أن يكون نصا معرفيا، وحتى نتمكن من الحديث عن نقد معرفي نتساءل: هل يوجد أدب معرفي؟ على اعتبار أن ثنائية الأدب والنقد ثنائية تفاعلية فلا نقد دون إبداع ولا إبداع دون نقد.

بداية نشير إلى أن كل نص أدبي مهما كان شعرا أو نثرا يحتوي قيما معرفية، بل إن أساس بنائه اشتغال للذهن، هذا على سبيل الإجمال أما على سبيل التخصيص والتمثيل فإن الأدب المعرفي هو الأدب الذي يمثل موجة الأدب المعاصر الحرة بالبحث والمدارس، وقد شكلت مجلة "ذوات" في عدها العاشر لسنة ٢٠١٥ عددا خاصا بالرواية العرفانية، وسمته بـ"الرواية العرفانية تأسيس لأدب جديد"، مؤكدة أن مصطلح العرفانية هو مصطلح مقابل لمصطلح "المعرفية". تقول "سعيدة شريف" في الكلمة الافتتاحية للعدد: «يعرف المشهد الروائي والنقدي العربي في السنوات الأخيرة، نوعا من الاهتمام والالتفاف حول "الرواية العرفانية" أو "الرواية الصوفية" كما يسميها البعض، وذلك أن هذا النوع من الروايات ينهل من القرآن، والتاريخ، والتراث، ويسعى لتأسيس أدب جديد، لا يقف عند إعادة قراءة هذا التراث، بل يهدف إلى بنائه وتحيينه، وترميم ثقوبه، مفندا ورافضا لمفهوم

(١) - ماري لورريان: "السرديات والعلوم العرفانية، مقاربة إشكالية"، ترجمة: زهير القاسمي، مجلة فصول في النقد الأدبي، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ٢٥/٠٤، العدد ١٠٠، صيف ٢٠١٧، ص ١٨٦.

(٢) - ماري لورريان، المرجع السابق، ص ١٩٤.

القطيعة الذي كان رائجا في وقت معين، وذلك من خلال إعادة الوصل مع الذاكرة والتاريخ والموروث الثقافي، والأدبي والفكري، والتفكير والتجديد فيه^١. وعليه فالنص المعرفي هو نص يتمثل فيه الأدب المعرفي الذي هو مجال اشتغال النقد المعرفي. ولقد «كانت الوظيفة الأولى للفن هي وظيفة معرفية، ارتكزت على مبدأ المغايرة، مغايرة وتمايز الإنسان عن الطبيعة»^٢ كما يذهب "هربرت ماركيز"، وقدرته على تشكيل هذا العالم في "صور" كما اعتقد غيوركي كاتش.

وقد ذهب "دوغلاس مورغان" إلى أن الفن يحمل معرفة، ولا أدل على ذلك من إمكان التعرف على أنماط حضارية بعيدة عنا زمنيا من خلال لوحة فنية أو مؤلفات أدبية^٣. ولذلك يأتي النقد المعرفي للبحث في تلك المعارف والكشف عن طبيعتها وأبعادها، وإذا كان «الإدراك الجمالي يعرض تنوعا أكثر من الإدراك الحسي العادي وينتمي إلى نظام أكثر تعقيدا»^٤، فإن الإدراك المعرفي أبعد غورا وأكثر تعقيدا، ذلك أنه يتخذ من الجمالي ذي الطبيعة المعقدة أصلا مادة أولية تكون بمثابة الحامل لما هو معرفي.

٢- أسئلة النقد المعرفي

إن النظرية الإدراكية أو المعرفية التي يتأسس عليها النقد المعرفي تسمح له بطرح أسئلة جوهرية في النقد قد لا تسمح له بقية المقاربات النقدية بطرحها من قبيل؛ ما هي المعارف المتسللة في النص عبر الجماليات الفنية للغة؟ وكيف تتضافر ثلاثية النص المؤلف والقارئ في إنتاج معرفة تكاملية؟ معرفة لا يكون فيها إلغاء لأي طرف أو تغليب

(١) - سعيدة شريف: "افتتاحية عدد نوات"، مجلة نوات، المغرب: عدد ١٠، سنة ٢٠١٥، ص ٥٥،

موقع: <https://k-tb.com/book/Arabi00438> بتاريخ ٢٠٢٠/٠٤/٠٦

(٢) - هربرت ماركيز: البعد الجمالي، نحو نقد النظرية الجمالية الماركسية، ط١، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ص ٢١.

(٣) - وفاء محمد إبراهيم: علم الجمال قضايا تاريخية ومعاصرة، مصر: مكتبة غريب، دت، ص ١٦٤.

(٤) - أرنست كاسيرر: مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، أو مقال في الإنسان، ترجمة: إحسان عباس، مراجعة: محمد يوسف نجم، بيروت: دار الأندلس، و نيويورك: مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، ١٩٦١، ص ٢٥٣.

طرف على آخر، فالمؤلف حاضر ببصمته النفسية والتعبيرية وإرثه المعرفي ورؤيته الحضارية، وذلك بما يودعه في النص من أفكار إن على سبيل الإضمار أو عن طريق الإظهار، والنص حاضر بملفوظاته وإشاراته والقارئ حاضر بتأويلاته.

إن أهم ما يمكن أن يجنيه النقد في اتصاله بما هو معرفي إدراكي هو توسيع مجاله الاشتغالي ليصبح كل ما هو لغوي أو يتسلل عبر اللغة مادة للنقد المعرفي بعيدا عن مقولات الموت أو الانتقائية، ذلك أن «الإبداع من زاوية النظر الإدراكية ليس بمقصود على الخطاب الأدبي في دلالاته الجمالية الضيقة (الشعر والنثر) بل يجاوزه إلى سائر أنواع الخطاب التواصلية التي تقتضي جهدا إبداعيا يختلف باختلاف أنواع المخاطبين والموضوعات والمجالات»^١.

يشغل النقد المعرفي على اللغة، هذه المادة التي تغيّر المنظور المعرفي المعاصر حولها من كونها أداة للتواصل إلى عدها « قدرة معرفية »^٢، كما يقول تشومسكي^٣، وتصورها كذلك ينقلها من مجال التواصل الضيق إلى مجال التفكير الرحب، فتصبح اللغة حاملة للفكر ومعبرة عنه، وناقلة لما يجول في الذهن من معرفة عبر نسقها المميز، ولا سبيل إلى إعادة اكتشاف ما فيها من معرفة إلا باشتغال آلية الذهن، وخصوصا الآلية النقدية التي تسعى إلى تشغيل كل ميكانيزمات الذهن. وعليه؛ فالنقد المعرفي قراءة لما في أذهان الآخرين، فهو يستنطق النص مبرزاً ما فيه من أفكار وتصورات حول قضايا الوجود الإنساني وانشغالاته. وتستند فكرة قراءة ما في أذهان الآخرين إلى ما توصلت إليه النظريات المعاصرة التي تبحث في اللغة والذهن البشري،

(١) - صالح بن الهادي رمضان: "النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي، الاستعارة أنموذجاً"، ندوة الدراسات البلاغية، الواقع والمأمول، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ٢٢-٢٣/٦/١٤٣٢هـ، ص ٨٦٧. منشور بموقع: <https://k-tb.com/>، تاريخ الدخول: ٢٠٢٠/٠٤/٠٦.

(٢) - عبد العالي العامري: "اللغة ونظرية الذهن، مبادئ معرفية وذهنية"، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد ٦، ربيع الآخر ١٤٣٩هـ، يناير ٢٠١٨م، ص ١٠.

(٣) - يذهب إلى ذلك تشومسكي في أعماله الأخيرة: ١٩٩٥-٢٠٠٢-٢٠١٦.

والتي تقول حسب ما توصلت إليه "زينشايين" في أبحاثها (٢٠٠٣، ٢٠٠٦)، إن « البحث في القدرات المعرفية للإنسان يساعد على تفسير السلوك البشري، وقراءة أذهان الآخرين»^١. وقديما قيل "المرء مخبوء تحت لسانه"^٢، فإذا تكلم أبان، وقال الشاعر العربي قديما^٣:

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَاللِّمِّ.

إن المقاربة النقدية المعرفية للنص تستوجب « النهج النقدي التحليلي»^٤، وإن طبيعة المواضيع التي تكون المجال الخصب المقاربة المعرفية يجب أن تتسم « بالإشكالية أولا، وبالتشظي ثانيا»^٥، من خلال الأسئلة الجريئة التي يطرحها الناقد المعرفي على النص، إذ لا يكفي بالاستمتاع بما هو جمالي، بل يتعداه إلى ما هو إشكالي، أي بالانتقال من كيف يقول النص؟ التي هيمنت على المنظورات النسقية، إلى أسئلة: ماذا يقول النص؟ ولماذا يقول النص؟ وما المقصود بهذه العبارة؟ وما دلالة هذه الإشارة؟ وكيف يشتغل الذهن في عملية الإدراك؟ وما الدوائر التي يتحرك فيها المعنى؟

خامسا: الرؤية المنهجية للنقد المعرفي

تمثل المعرفة كل النشاط الإنساني، وتشمل «مجموع الأنشطة الإنسانية التي يبدعها الإنسان خلال مسيرته التاريخية سواء أكانت فلسفية أو علمية»^٦، وكل كاتب أو فنان مهما كان ميدان إنتاجه الفني إلا وله رؤية يودعها إنتاجه، ولذلك عد ليوناردو

(١) - عبد العالي العامري، المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) - علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، مجموع اختاره الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهرسه العلمية: صبحي الصالح، ط٤، لبنان: دار الكتاب المصري، مصر، دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠٤، ص ٤٩٧.

(٣) - الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد: المعلقات السبع مع الحواشي المفيدة للزوزني، قدم له وحققه: محمد خير أبو الوفاء، راجعه وصححه: مصطفى قصاص، باكستان: مكتبة البشرية، ٢٠١١، ص ٨٧. (البيت لزهير بن أبي سلمى).

(٤) - محمد سالم سعد الله، المرجع السابق، ص ٠١.

(٥) - محمد سالم سعد الله، المرجع السابق، ص ٠١.

(٦) - وفاء محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٦٣.

دافنشي " أن «الرؤية معرفة»^١. وعندما نفكر نقدياً فإنّ الذهن يشغل بطريقة فعالة، تجعل الدماغ والجملة العصبية في سيرورة تواصلية كبيرة، مما يسمح للذهن باكتشاف عوالم نصية، والبحث في المعرفة المكتنزة في النصوص. واختلاف النتائج المتوصل إليها عند مقارنة النصوص نقدياً يعود إلى العديد من العوامل؛ منها ما يتعلق بكفاءة الناقد المعرفية كمكتسبات قبلية، ومنها ما يعود إلى ما يتزود به من آليات منهجية، ومنها ما يعود إلى قدرات ذهنية، ذلك أن القدرات الذهنية تختلف من شخص إلى آخر. وقد ذهب "جيروم برنير" إلى أن « القدرة السردية هي الأساس لتنظيم المجتمعات البشرية»^٢، وأنا أعتقد أن "القدرة المعرفية هي الأساس لفهم المجتمعات البشرية"، ذلك أن سجل البشرية وجينومها البشري مخبوء في المعرفة التي تودعها مخزونها المعرفي والثقافي، ولا سبيل إلى فهم الشعوب إلا بإعادة اكتشاف خرائط المعرفة المودعة في سجلها الثقافي والمعرفي. ويتبوأ النقد المعرفي مكانة مرموقة في إعادة اكتشاف ذلك المخزون، لما يحمله من رؤية منهجية تتأسس على جملة من القيم يمكن بيانها في:

١- الرؤية عبر التخصصية والتركيبي المنهجي

النقد المعرفي من وجهة نظرنا خطوة نحو التركيبي المنهجي - وليس التلفيق المنهجي - ذلك أن التركيبي المنهجي لا يكتفى بالمعطى المادي التجريبي في فهم الظواهر وتفسيرها، ولا يتأسس فقط على المعطيات الغيبية ويستجيب لها استجابة مطلقة، وإنما يستغل كل نوافذ المعرفة الإدراكية التي تمنح العقل القدرة على التفكير، والكشف، والتأويل سواء كان مصدرها مادياً أو مصدرها غيبياً، إذ لا تناقض في حقيقة الأمر بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فالعقل السليم يستجيب للتجربة العلمية المبنية على الوقائع مثلما يستلهم التصورات الكبرى لفهم الوجود من عالم الغيب.

(١) - أرنست كاسيرر، المرجع السابق، ص ٢٥١.

(٢) - ماري لورريان، المرجع السابق، ص ١٩٧.

إن عملية التركيب المنهجي تسعى إلى الوصول إلى ضابط منهجي جديد أو نموذج معرفي جديد تتم بموجبه « استعادة جدلية الإنسان والغيب والطبيعة»^١، هذه الجدلية التي أقصت طرفها (الغيب) الفلسفات الوضعية، وأقصت طرفها الآخر (الطبيعة) الفلسفات الميتافيزيقية، وفي كل ذلك غاب الناظم المعرفي الذي بموجبه لا يحدث التناقض بين عناصر الوجود.

إن أول خطوة في بناء المعرفة تتمثل في «الوعي بالمبدأ المنهجي الذاهب إلى أن كل معرفة تقبع وراءها رؤية إلى العالم»^٢، وتلك الرؤية هي التي تحرك الإبداع وتنظم النقد، ولا يهم في النقد المعرفي حتى يكتسب صفة الشمول أن يكون رهين هذه الرؤية أو تلك بل يهم أن يستند إلى رؤية؛ سواء كانت رؤية إسلامية يتم بموجبها الحديث عن إسلامية المعرفة، أم رؤية أيديولوجية يتم بموجبها ضبط التصورات وفق المنظور الأيديولوجي، أو رؤية فلسفية، أم جمالية، أم مادية، أم مثالية، أم غيرها من الرؤى والتصورات التي تضبط المعرفة في أروقة تفضي إلى التميز واكتساب الكينونة خاصة.

٢- تشاكل المعرفي بالجمالي

إذا كان النقد الثقافي قد جعل همه البحث في المخبوء المضر من العيوب النسقية في النص، والمتسللة إلى المتلقي عبر جمالياته كما يذهب إلى ذلك "عبد الله الغدامي"^٣، فإن النقد المعرفي استند إلى ما هو جمالي للتعرف والبحث عما هو ثقافي

(١) - عبد الحليم ماهورباشة: "المبادئ المعرفية والأسس المنهجية لأسلمة فلسفة العلوم الإنسانية عند محمد أبو القاسم حاج حمد"، مؤمنون بلا حدود، مؤسسة دراسات وأبحاث، موقع www.mominoun.com، ص ١٢.

(٢) - عبد الحليم ماهورباشة، المرجع السابق، ص ١٤.

(٣) - يقول "عبد الله الغدامي" وهو بصدد التأسيس لفكرة الأنساق المضمرة المتسللة عبر ما هو جمالي: "لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على (جماليات) النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوص، ولكن النقد الأدبي، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي". (عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط٣، المغرب، لبنان: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥، ص ص ٧، ٨).

وتلك سمة فارقة تعطي النقد المعرفي حضوراً متميزاً. وما زالت الأمم تحتفي بأدبها القديم والحديث على السواء، لما يحمله من قيم جمالية أولاً، ولما يتسلل عبره من قيم ثقافية ومعرفية، وما يمثله من سجلات حياة للأفراد والشعوب على مر العصور. ومثلما يحمل الأدب المنافرات والمعارضات فإنه سجل حافل للأمجاد والانتصارات، ومثلما عُدَّت الإلياذة، والإنياذة، والأوديسا، والشهنامه، والمعلقات والمقامات قمة الإبداع الجمالي والفني والمعرفي عند كل أمة من الأمم التي ظهرت فيها، كانت الرواية ملحمة برجوازية. وكل ذلك يؤكد قيمة الجمالي في النص، ويدفع إلى الاعتقاد العلمي بأهمية الجمالي في تشاكلة مع المعرفي في كل تشكيل للنص وفي كل تدليل ينطلق من النص.

الجمالي في النص هو الحامل، بينما المعرفي هو المحمول، ويقدر قيمة الحامل تزداد قيمة النص، وبمقدار ما يتواجه الجمالي والمعرفي في نسيج النص يكتسب صفة التميز، إذ «تشتغل كل معرفة عبر انتقاء المعطيات الدالة وطرح المعطيات غير الدالة: فهي تفرق (تميز أو تفصل) وتوحد (تجمع وتطابق)؛ ترتب (الأساسي، الثانوي) وتمركز (على ضوء نواة من المفاهيم الكبرى). في الواقع إن هذه العمليات التي تستخدم المنطق هي موجهة بواسطة مبادئ فوق منطقية لتنظيم الفكر أو بواسطة منظومات. إنها بمثابة مبادئ خفية تحكم رؤيتنا للأشياء وللعالم من دون أن نشعر بها»^١. وبذلك فالاشتغال النقدي في ظل النقد المعرفي يستلهم من مبادئ العقل أساساً له، ومن معطيات المنطق سياجاً يعصم المعرفي من الخروج عن أصول التفكير، في جدلية تناغمية بين ما هو جمالي وما هو معرفي.

إن كل ما في النص هو في الحقيقة معرفة؛ إما أنها معرفة مقدمة، أو مؤجلة، إما أنها معرفة ظاهرة أو ضمنية. والجمالي في النص حامل لما هو معرفي، ومبشر به، ولا تعارض بين ما هو معرفي وبين ما هو جمالي، و«كل عملياتنا الإدراكية، حتى في مظاهرها البسيطة، تمتزج بأذواقنا، وتقييماتنا الجمالية»^٢، ومثلما يحمل النص من القيم

(١) - إدغار موران، المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) - بناصر البعزاتي، المرجع السابق، ص ٨٠.

الجمالية المادية ما يجسد به البناء التعبيري والتصويري، فإنه يحمل من القيم الشعورية، والنفسية والفكرية، والثقافية ما يُقِيمُ به وجوده المعنوي.

إن العمل الأدبي « لا يوجد بوصفه فكرة فنية وحسب، بل كتجسيد لها في آن معاً، أي كأثر أو كشيء، أما الأثر (تمثال، رواية..) فلا يوجد كمادة جامدة، بل كواقع وكفعل، أي عملية خلق (يقوم بها المؤلف)، وإعادة خلق في لحظة الإدراك (من قبل المشاهد أو القارئ) »^١، ذلك أن الفن يحوي العديد من الجوانب الفكرية، والمعرفية وما ينعكس فيه من تصورات تخص الوجود، والإنسان، والحياة، بالإضافة إلى أنه إنتاج فني جمالي، فجانبه المادي يتجسد في التَّمَثُّل الذي يظهر به في الوجود؛ رسماً على مغارة ولوحة زيتية، وعمارة وأدبا، وكل ما من شأنه التعبير عن الذات الإنسانية وجانبه المعرفي الذي يتمثل في المعرفة التي يحملها، والأفكار التي يسجلها، والقضايا المنعكسة فيه، وتأتي لحظة الإدراك المعرفي لإعادة اكتشاف ما انعكس في الإنتاج الأدبي من تصورات، وما ارتسم من أفكار، وما صور من معارف. وتلك مهمة النقد المعرفي الذي يتخذ من المنتج المادي الجمالي مادة لإعادة إنتاج ما تم تضمينه في العمل الأدبي من أفكار.

يستلهم النقد المعرفي رؤيته المنهجية من كل الحقول المجاورة، ومن كل المناهج منظورها الشمولي، وذلك ما يجعلها تقع ضمن الاختصاصات البيئية التي يقول عنها "دوي فوكييمه"^٢ (ناقد هولندي، ١٩٣١-٢٠١١): « سيلزم في كل زمان، استقبال الفحص المابين ذاتي، والمتعدد التخصصات، استقبالا حسنا »^٣، ذلك أن التداخل الذي طبع الحياة المعاصرة مثلما حَتَّم على العلماء تكاثف الجهود والاختصاصات في كل اختراع علمي، أو تطوير تكنولوجي أو حياتي فإن الدراسات والاختصاصات البيئية تصبح ذات قيمة معرفية كبرى، والنقد المعرفي اشتغال على مناطق التداخل النصية، فلا أفكار دون لغة، ولا لغة دون تعبير، ولا فهم دون شفرة وهكذا.

(١) - غيورغي كاتشف، المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) - فوكييمه دوي: "مسائل معرفية في النقد الأدبي"، ترجمة، محمد بن الراهه البكري، مجلة فصول في النقد الأدبي، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ٢٥/٠٤، العدد ١٠٠، صيف ٢٠١٧، ص ٢٣٠.

وعليه فإن « المنظور المعرفي يغير من فهمنا كثيرا من الأفكار منها الإشارة/الإحالة، والحقيقة والزيف، لأن هذه المفاهيم والأفكار، ينبغي لها أن تفهم لا من خلال علاقتها بواقع موضوعي؛ بل من خلا تمثيل ذهني وسيط^١. ولذلك يتخذ النقد المعرفي من الرموز التي هي مادة ما هو جمالي وسائط للمعرفة تحمل الأفكار وتكتنز الأسرار، إذ الكلام في كل لغة حمال أوجه.

لغة النقد المعرفي لغة تتراوح بين المباشرة والترميز، هذا الترميز الذي يتخذ من الاستعارة عادة مادة لبنائه، وحتى يتمكن الناقد المعرفي من إعادة اكتشاف المعرفة عليه إدراك محمولات الاستعارة، ذلك أن « النظرية الإدراكية تعامل الاستعارة بما هي عملية عقلية فكرية^٢، ولا توجد لغة تخلو من المجاز، الذي يعطي القول صفة الجمالية، ويحمل من القيم والأفكار ما يجعل النصوص غنية بالأفكار، ومحملة بعقب الحضارة التي ينتمي إليها النص.

لقد كان الأدب وما يزال الرحم التي تتشكل فيها الرؤى والتصورات للواقع والحياة، ولذلك يتوجه له النقد بآلياته الكاشفة ليعيد اكتشاف الخرائط الذهنية التي شكلت عوالم الوجود الإنساني، و« من أسس الدراسة المعرفية للأدب أن بعض الآليات المعرفية تنطبق على القراءة الأدبية كما تنطبق على غيرها من التفاعلات، ومن ثم يمكن أن نفهم عالم الخطاب باعتباره مجالا يتوسط بين الواقع والخيال الذي يشتمل الخطاب أو السرد^٣. وقد أقام النقد المعرفي علاقة وطيدة بين ثلاثية: الفكر، والوجود، واللغة وكل إدراك للعالم وبالتالي للنص من وجهة نظر النقد المعرفي يجب أن تراعى فيه العلاقات الترابطية بين هذه الثلاثية التي لقيت في ظل الفلسفات السابقة عن الرؤية المعرفية المقاربات الثنائية؛ علاقة اللغة بالفكر، علاقة الفكر بالإدراك، وحان الوقت لدراستها التفاعلية. يقول محمد

(١) - بيتر ستوكويل: "عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية"، ترجمة بهاء الدين محمد مزيد، مجلة فصول في النقد الأدبي، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ٢٥/٠٤، العدد ١٠٠، صيف ٢٠١٧، ص ٢٤١.

(٢) - صالح بن الهادي رمضان، المرجع السابق.

(٣) - بيتر ستوكويل، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

الصالح البوعمراني: «لقد أقام العرفانيون روابط بين هذه الأطراف الثلاثة، وأنشأوا ضرباً من التفاعل بين الفكر والعالم واللغة؛ فنظام تفكيرنا غير مفصول عن نظامنا الإدراكي وتمثلنا للعالم الحسي من حولنا، ولغتنا غير مفصولة عن تجربتنا الجسدية»^١. ويظل دائماً النص بقيمه الجمالية ميداناً لتضاييف ما هو لغوي مع ما هو معرفي في استناد إلى مرجع يحكم الإبداع ويوجه المبدع.

٣- من القطيعة المعرفية إلى الاستمرار المعرفي

كثير من المناهج مثلها مثل نظريات المعرفة قامت على القطيعة المعرفية والمنهجية، غير أن النقد المعرفي يتأسس في ضوء الفكرة القائلة بمبدأ التحرر المنهجي بدل القطيعة المنهجية، والاستمرار المعرفي بدل القطيعة المعرفية، وقد دعا إلى هذه الفكرة الجوهرية "محمد أبو القاسم حاج حمد" في كتابه "إبستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج" حيث يقول بعد أن ناقش الآراء التي المتعلقة بالقطيعة المعرفية مع "أوغست كونت" «فليس المحتوم هو امتشاق المعرفة لإحداث قطيعة معرفية مع (الموضوعات) التي استثارها الخبرة الإنسانية في ماضيها، سواء كانت غيبية أو وضعية، وإنما المطلوب هو (إعادة اكتشافها) وفق توجهات المنهج المعرفي الإبستمولوجي المعاصر وأدواته التحليلية المفتوحة»^٢. وبذلك فالنقد المعرفي يستفيد من منجزات الحقل النقدية المتقاربة، والمتقاطعة، والتي جعلت همها إعادة اكتشاف عوالم النص الإبداعية، ذلك أن طبيعة المعرفة -مهما كانت- تراكمية، ولا يمكن لأي معرفة أن تنشأ من فراغ، أو أن تسعى إلى غير غاية. وقديماً قال هوراس: ما الأسد إلا خراف مهضومة.

يأتي النقد المعرفي بفكرة التكامل والشمول بدل التجزئة والفصل، والتراكم والاستمرار بدل القطيعة والانفصال، ذلك «أن المعرفة ما هي إلا عملية بناء مستمر لأن في كل أداء للفهم ثمة درجة ما من متضمنه»^٣، وعليه يمثل النقد المعرفي إبدالاً

(١) - محمد الصالح البوعمراني: "دينامية القوة بين بُنى الوجود وبنى اللغة"، مجلة فصول في النقد

الأدبي، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب: المجلد ٢٥/٠٤، العدد ١٠٠، صيف ٢٠١٧، ص ٣١٠.

(٢) - محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٣) - جان بياجيه، المرجع السابق، ص ١٠١.

منهجيا ومعرفيا بإمكانه استيعاب المنجز النقدي، وتوظيفه، وفق مساره الخاص، ورؤيته الجديدة، التي تمثل ثورة على مقولات النهاية والموت.

إن النقد المعرفي إبدال معرفي ومنهجي في مجال الاشتغال النقدي المعاصر، وقد أسس لفكرة الإبدال "تومس كون ١٩٢٢-١٩٩٦"، والإبدال عنده « مجموعة متمفصلة من المسلمات والافتراضات والأحكام والتبريرات التي تقف وراء الفاعلية العقلية في البناء العلمي في كل مراحل العملية^١. إذ يأتي النقد المعرفي في مرحلة تتميز بتأزم النقد المعاصر؛ فالبنوية بنيويات، والأفكار الموجهة للقارئ نظريات، وهلم جرا، ونتيجة كل ذلك يضع النقد المعرفي تصورات الخاصة التي لا تقول بالإلغاء ولا تتأسس على الانقطاع ولا التبعية، متخذة نماذجها الخاصة التي تعلي من شأن الجمالي وترسم من تشكيلته أبعاد التدليل، إذ « الإبدال يوجه البحث عن طريق النمذجة المباشرة مثلما يفعل من خلال قواعد مجردة^٢ كما يقول "تومس كون".

إن النقد المعرفي إبدال منهجي ومعرفي يؤسس لمقولات جديدة قوامها التكامل، والشمول، والاستمرار والاستثمار.

خاتمة البحث ونتائجه:

إن البحث في اشتغال النقد المعرفي بوصفه إبدالاً منهجياً ومعرفياً يسمح لنا بالتوصل إلى النتائج الآتية:

١- عرف الإبداع الأدبي العديد من الإبدالات النصية، نقلته من نقاء الجنس الأدبي إلى تداخل الأجناس الأدبية، في حوارية بين الشعر والرواية والمسرح، يتفاعل فيها الجمالي مع المعرفي. وبالمقابل عرف النقد تحولات جوهرية مست ثلاثية المؤلف والسياقات الخارجية، والنص وعوالم اللغة، والمتلقي وما يرتبط به من قيم شعرية ونفسية وأيديولوجية. وقد ميز

(١)- بناصر البعزاتي، المرجع السابق، ص ١١٤.

(2)- Thomas Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, Chicago & London: the University of Chicago Press. 1^{ed} .. 1962, p. 47 ; 2^{ed}., 1970, p. 47.

تلك التحولات الإلغاء والتناقض؛ فكل منهج نقدي يؤسس مقولاته على إلغاء المنهج السابق له. فكانت سلطة الداخل مقابل سلطة الخارج، وسلطة المتلقي مقابل سلطة المؤلف، وسلطة النص مقابل سلطتي المؤلف والقارئ، مما ولد أزمة منهجية تستوجب التأمل ومحاولة إيجاد الحلول لإشكالية المنهج في مقارنة النص.

٢- إن تأسيس المناهج النقدية على مقولة النهايات؛ نهاية السياق، ونهاية التاريخ، ونهاية المؤلف، ونهاية القارئ ساق النقد إلى التآزم المعرفي والمنهجي. وعليه كانت ضرورة العودة إلى طرح أسئلة جديدة في النقد، تسعى إلى تكوين رؤية شمولية للظاهرة الإبداعية، وذلك ما يعمل النقد المعرفي إلى التأسيس له.

٣- يمكن أن يُعد النقد المعرفي إبدالاً منهجياً ومعرفياً له من التبصر المعرفي، والرؤية الشمولية ما يحقق له وجوداً تكاملياً، فطابعه الإشكالي يفرض علاقات مع شتى الحقول المعرفية. وعليه فالنقد المعرفي نقد عبر تخصصي، يتخذ من الجمالي مادة للكشف عن المعنى المعرفي المخبوء تحت الجمالي، في منظور يتميز بالشمولية والعلائقية، مستثمراً كل معطيات العلم، ومؤكداً على القدرة على الفهم والإدراك، وينطلق من شبكة تصويرية يحضر فيها المؤلف وما يتعلق به من سياقات إنتاج، والنص وما يتشكل فيه من عوالم تعبيرية وتصويرية، والقارئ وما يفتحه من آفاق فكرية ومعرفية.

٤- يسعى مشروع النقد المعرفي لاستيعاب الجهد النقدي الذي توزعته العديد من المداخل الاشتغالية في النقد؛ مجال النقد الأدبي، مجال النقد الثقافي، مجال النقد الفلسفي، مجال النقد الفني، مجال النقد الأيديولوجي، مجال النقد الأنثروبولوجي....، وهي مجالات نقدية غلبت عليها الرؤية التي تبني مقولاتها على سبيل الانقطاع وليس التواصل، أو التجاوز وليس الاستناد، فكل مجال نقدي يدعي موت المجالات النقدية الأخرى في بعض الأحوال، كما هو الشأن في النقد الثقافي الذي أسس وجوده على مقولة موت النقد الأدبي، أو مقولات التجاوز، كما كانت المناهج النسقية تتجاوز للمناهج السياقية، والمناهج ما بعد البنيوية تتجاوز للمناهج البنيوية، فكل مجال نقدي يدعي تجاوز النقد السابق ليؤكد منظوره التجديدي.

٥- يأتي النقد المعرفي ليوجد المداخل المشتركة التي تحاول أن تتركب بين المنظورات التي لا يوجد بينها تناقض في حقيقة الأمر. إذ كلها تتأسس معرفياً على اشتغالات الذهن الذي

يقوم على الوحدة في التفكير، ومبادئ العقل، ومقولات الوجود التي ترفض أن يكون الجزء أكبر من الكل، أو تكون المعرفة سبيلا للتناقض؛ فحتى المنظورات المختلفة للقضية الواحدة ينظمها سلك معرفي رابط بينها وهو أنها تؤسس تلك الاختلافات في المنظور القرائي على التنوع في التفكير الذي يفرض في مقارنة النصوص الأدبية إلى إمكانية الإمساك بالمعنى الذي لا ندري بالضبط في أي زاوية هو موجود، ليكون التناقض الظاهر سبيلا لإدراك المعنى المستتر والذي يسعى النقد المعرفي إلى الإمساك به، والبحث الجينيالوجي في طبقات اللغة للوصول إلى ما في النص من قيم معرفية شكلت حضور الذات في النص وتجسيدها للحضور الإنساني.

ويبقى البحث في النقد المعرفي يثير من الإشكالات بقدر ما يتجدد في رحابه من الأسئلة، وذلك ما يجعل منه إبدالا منهجيا ومعرفيا في الساحة النقدية المعاصرة جدير بالبحث والدراسة.

Cognitive Criticism :
Toward a Methodological Substitution
Mohammed Abdullah Arous*

Abstract

This study aims to search in the field of cognitive criticism, which we believe to be the hypothesis of the research, is a systematic substitution that goes beyond the sayings of death and modern endings; The death of the author, the death of the critic, the death of the text, the birth of the reader, and the end of history, which characterized the contextual and systemic approaches, and the theories directed to the reader, deconstructive and others, and establishes a comprehensive view of criticism, the basis of which is the search for what is aesthetic in the text to reveal the epistemic in it. As cognitive criticism is a cross-disciplinary vision that looks at criticism in a holistic view, combining the trilogy of context, text and recipient. It is based on the idea of investment and continuing

* PhD in Modern and Contemporary Literature/Department of Arabic Language and Literature/Faculty of Arts and Languages/University of Larbi Tebessa-Tebesa.

rather than death and cancellation, and it raises awareness as an essential value in critical thinking, and it takes from the achievements of knowledge theory tools for understanding and interpretation.

The cognitive criticism project comes to absorb the critical effort that was distributed by many approaches to criticism, and to establish a new methodological replacement based on the inspiration of everything that would illuminate the literary text, in a way that does not contradict the principles of the mind, in which the texture of the text extends to the external context and the values in it. A reason for the production of the text, and to the receiver and the vision that it carries to reproduce the text.

This research poses a problem that tries to uncover its circumstances, which is: Is the criticism destined to be based on contradiction and cancellation? Can cognitive criticism represent a new methodological substitution for reading the creative text away from the sayings of abolition and death that dominated the critical vision? What are the literacy approaches that epistemological criticism takes in re-discovering the human knowledge reflected in the text by investing in many specialized studies?

key words: Cognitive Criticism, Cognitive and Methodological Substitution, New Ends, Inclusivity, and Integration.